امبراطورية الخديعة

دار ئاراس للطباعة والنشر

السلسلة الثقافية

*

صاحب الإمتياز: شوكت شيخ يزدين

رئيس التحرير: بدران أحمد حبيب

***

العنوان: دار ئاراس للطباعة والنشر، شارع گولان، اربيل، كُردستان العراق

امبراطورية الخديعة

فتح الله حسيني

الاهداء:

الى الأباطرة المتربعين على شرفات الله المطلة على جراحاتنا

اسم الكتاب: امبراطورية الخديعة – شعر
الشاعر: فتح الله حسيني
من منشورات ئاراس رقم: ٧٦٤
التنقيح: أوميد أحمد البناء
الإخراج الفني: آراس أكرم
الغلاف: مريم متقيّان
الطبعة الأولى ٢٠٠٨
رقم الإيداع في المديرية العامة للمكتبات العامة في إقليم كردستان بأربيل: ٢٠٠٨/١٦٧٦

أُلفة الخديعة

أنا السارح في هواء مُلْكٍ، لم يعد
شخوص الأمس يستدركونه ..
كأنكِ ضجة السجن
أو هدوء الشجن
طواعية
تمكثينَ لتطفئي شمعتي المجنونة، للمرة الألف
وسط الاحتفال

والثمل، يداوي جراحه، بهدر سنينه بين المقاهي والحانات ودور السينما، لئلا يموت، متأرجحاً كوريقة خفيفة تقاذفتها الشوارع المزدحمة بالرجال الرسميين والفنانات الحاملات والحالمات بثمل مثله ..
كأنه هو
من سكب للزمن نَفَسهُ المهدور
بقطفه آسار المكان
كما الصغار يقطفون
وهم متسلقين آفات الخديعة
ورود الرمان..

بكل برودٍ
أنتِ حرارة القسم
وتاريخ .. سيدونه ثمل في ظلمات المدن
بشجنٍ
غير
قاتلٍ ..
خذي – يا ألفة الخسارة – ما خسرناه
وقودي صبرك الوحشيّ إلى سطوح منازلنا المتوخاة من الخديعة البلهاء
ليعتاد الجنون على غناء دمنا
كأنه إضاءة الحسرات في الليال
اللا مقمرة

فذاك، النادم على عذره
والطافش من غدره
يرتب أوجاعه بلا مبالاةٍ
ويقدّم للأقدار الملعونة
هباءً
طفرات عمره ..

وأنا أبدأ صفراً لأخوض الحلم مع الناكثين
ياشريكي الممتحن، مقامراً بحنين الصباح إلى قهوة الصباح
منشغلاً
عن تفاصيل مَنْ لا تأتي إلاّ ممتحنة آثار خطواتي
والأيام
أئلفها

كما أئلف مساءً مندهشاً من موتي
العالم بلا مؤنسةٍ
خواءٌ على خواء
والمُقام على أنقاض القدر، مستند إلى الخواء
فصبراً – أيها الرحيل الجميل – الهدوء مُصرٌّعلى الاحتراف
في ساحة الاحتفال المُقام من أجلنا
صبراً أيها الفراغ
ضجري كلمة سرٍ بين الحزن والحزن .

في الركن الذي ودعتكِ،كرنفالاً
أسندت عرائي إلى العرافة
على أبواب الفتيات اللائي نضجن بسرعة هائلة
وعرائي
خديعة
في مرمى اليقين
ورسمي مشروع تأمل، مذ بدأه الكرنفال، ليعيد نحت ما أجّلَهُ
الهلاك، وطيفك يمر – سرابئذٍ – على مرأى رسمي المنتهي
كالضحك..

تلك الأغنية تشبه تفاصيل صديقة ألفتها من أيام ملتقانا الدراسي، حين
كنا جميعاً، الموت، الشجن، الشقاء، الضياع، الكسل، الأغنية ذاتها،
ننتهي أمام عتبة الوطن، منذها لم ألتقِ بسيدة مهزومة تمتحن هذا
الضجر وهو على ألقهِ،
كيف للموت أن يضاهي الموت، وأنا أستذكر الصبايا كالشموع، وأشم
رائحة جثث الأصدقاء المرمية في الشوارع دون غطاء
والألم على مبتغاة،نشيد للندامى
أُداعب، ما تبقى من أوجاع
كسفرٍ إلى عالمٍ مختصر ومحتضر
أحزم حقائبي الملأى بالوحشة والحنين
والدم المسروق من زمن الصخب
لآتيه
مرةً
عاشرة
في غياهب الترتيب الجديد
ثم أعاود الفشل، كأنني لم أبارك الله يوم ظفره
أو أنني هدأْتُ من ضجيج المصلين في محراب شغفِ عاطليه
وأعاود الفشل .. .. والفشل .

طرائقي
ممتدةٌ
حتى حدود رقصة جميلة
واتجاهاتي باذخة مثلي
وأنا
في جنتي، محميٌ من تكفير المريدين لعربدتي

أقصُّ على نفسي
ما بعثرته من عمرٍ في شتاءات
لم يتحفني سقمها
بين الأدراج والأرخوانات الجامدة
كشريد ..

وظلي
غبار
الزائرين لمتاحف الله ..
الأيام السريعة
المارقة كدخان سيجارة الزمن السخيف
أهدتني
عتبات وأسفار طويلة
أتعبتني الأبواب الموصدة
والصديقات المغادرات شققهن
أتعبتني الشوارع الفارغة ليلاً والمزدحمة نهاراً
أتعبتني البارات
والمقاهي
والحانات

والسجائر التي تُنفَذُ صباحاً
والخمر المنكب على كأسهِ،كأنه
منكبٌ
على روحي العطشى لكل ما هو
غير مباح
في
هذه
الرقعة
المنتهية

ككل شيء جميل
أتعبتني وصايا الربّ
ببعثرتي بين مطارح منكوبة وأخرى مسلوبة
أتأمل بلا صحويّ
الأضواء الخافتة للرتيبين الطيبين
والمساكين
المنهارين
من وطأة سواد الحياة
ثم أنتبه، كما لم ينتبه أحدٌ
في برزخ الفناء
إن
الحياة
تهتك
نفسها
أمامي

بقوة
وأنا كونشيرتو الفناء
أسخرُ من مانحي الثناء ..
بكراهيةٍ
سخية ..
سخية جداً .

الضالعون في الحب

حكمة البلاهة
أن تنتهي الفتاة، هكذا كما اعتادت أن تتيهَ
لتعاد محادثاتنا المشروعة
على بعد ألمٍ
والقائمون على قيامة الحجر
يعيدون ما بذخته الأسئلة

في حضرة
الأسئلة
كأنهم
يعيدون مراحل الآثام
وهم هادئين
مستذكرين، جراحات تليق بثوانيهم المتآكلة في عصرٍ،
تصفيق المجانين، بركة الخالق على شحوب مريديه.

فمن للحجر ياحُجرة الفقهاء في
تل الشعير
الراقدون
ماتوا ،هناك،في حجراتهم،
متمسكين ببكاء التراب وأساه..
حكمة البلاهة
متاهةٌ
والساكنون على أطراف المدينة، تلفظهم أقاويل الباذخين
وهم يتأهبون لإستلام متاريس الحياة من الحياة
ينتشرون في أركانٍ ما عادت تصلح للكلاب
مأخوذين بالتعب وراء حفلات التعب..

يمَسّدون صباحاتهم كما يمسدونَ نسوةً من جليد
تقلقهم زوجاتهم الممددات والمهدودات أمام أبواب المنازل التي لا تشبه
المنازل،فيظلون ممزقين كثيابهم حتى صباحات النائمين
ينتفضون على اللاشيء
وعلى أحلامهم الصبيانية
تاركين وراءَهم
جيوشاً

من الحافيين وسط الشوارع
وفوق السطوح البعيدة
وما زالوا
يحلمون
ببشارات
وبأولاد يشبهون تفاصيل كآباتهم في
زحمات الأرصفة الصديقة
يشبهونهم في بؤسهم
يشبهونهم في حماقاتهم
يشبهونهم في موتهم المتمسك بهم
وهم ينتفضون .. ..

ويثورون
كما لم يسبق إن ثار أحدٌ من قبلهم
– وعلى مرأى الحماقات –
في وجوه الطيعين ..

صباحهم الأول، هلعٌ
وصباحهم الأوسط، هلعٌ
وصباحهم الأخير، هلعٌ يخيم على جسور وقبعات المدينة
وهم:
ينتشلون الغبار من الغبار
بأياديهم
وأرجلهم
وعيونهم

ومقدماتهم ومؤخراتهم
كأنهم
ينزعون الهمّ من الهمّ
كخفافيش الهدوء في فضاءات
لا تتسع إلا لهمهم
والظهيرة
تحرق ظهورهم المحمية بنياشين وهمية، بأبهة الشمس
ولا يكترثون ..

يغربلهم الكون
بفوضى تناثره على جباههم وما ينتظرونه من مكافآت
فيظلون سارحين
هؤلاء المساكين
ليلهم ليلٌ، ونهارهم نهار
وللوقت المهدور يزف حنين المارقين
يعطسون
بملء أعضائهم
كما تعطس السيجارة
على
حديقتها
***

لتواريخهم المرمية في أُبهة التراب
حزنٌ مفرطٌ في الحزن
مؤجج بالبكاء
ومدجج بالأحزمة المربوطة
حول خصورهم
كما
كان
البكاء
شيئاً
قاتلاً

دون مناجاة، يربطون أرجلهم الغاطسة بأسى الطين،
بالأرض الودودة
لئلا تخيفهم الأيام المبتدأة
فينهزمون كما ينهزم الرُّعاة
من
غدر
الذئاب

وعويل الظلام
يتأملون الخشوع الربانيّ
بوجلٍ قاتلٍ
بوجعٍ مكهربٍ
بأنين مبتور
بألسنة لا تنطق إلاّ لشتم الأطفال
والأوطان
وأعباء المخنوقين

فينادون :

نحن عبادك " المتوسلين "

ياربّ الجمرات والفقهاء

***

المساكين،يرتبون أسرتهم الملونة بالصلوات أمام مدافئ خشبية

كما كان الضباب يرتب نكهة الأبراج والبنايات الشاهقات

والعفة مدفونة

بين فوضى القبور

* كهامش

المساكين

الذين لم يحلموا

بالأليزيّه

وفخذيّ الإمبراطورة

وسيقان النيويوركيات

أمقتهم

وهم

هامدون

كالموتى ..

* هؤلاء المساكين،يأتون من أعمالهم اليومية، فيظلون ممددين على طفرات آبائهم،الذين رددوا لهم، أمداً، في بداءة العمر الذي لا يشبه الأعمار، قوانين القمع والمنع

والعيب والحرام . بينما زوجاتهم العاطلات في كل شيء، يسردن على أسماعهم المثقلة بالتعب وربّ

التعب، مشاكل المارقين والطافشين و الخانعين .

يأتون مساءً
من قبور، كانت ملاذهم، نهاراً كاملاً
تلتف حولهم
مراياهم المكسرة وزوجاتهم وقططهم وما لا يدركون من أبناء
فيأكلون ما يسرّه المشتهي لهم .

ثم
يدخنون
أوجاعهم ..
بكسلٍ مهددٍ ..
ومهدود
ومهدود.

صلواتي
إلى روح

سأراكِ دائماً
وبصور شتى،
تقيسين مرحك على قهقهة حزني ..
كالندم،
تتسربين من تفاصيل القمر
وشرفتي أَولى بالقبلة
من التعبِ
أنا الهادئ في الشارعِ
سأفعل أشياءً كثيرة لوحدي
والخراب يبدأ برجُلٍ واحدٍ ..
***

أنتظرُ ..
ويأتني الرسام بلوحةٍ،
ما حلمتُ بإطارها في أبهة المعرض
أنتظر وتأتني الفتاة
التي أغلقتْ في وجهي الباب قبل قليل
بثريات ما قبّلتها
منذ ضياعي في مباهج الترتيب
أنتظرُ
والبعيدة، تلك
تظل تسأل عني من العابرين وتترقب صدى خطواتي
بقنوطٍ قاتلٍ ...
***

عينٌ، على الغبار
الذي يملأ أجواء الزيف
وعينٌ، على القلائدِ
التي تحملها صدور القوادين
عينٌ، عليك يا فاطمة
وعينٌ، على استانبول وعينٌ على دمشق
عينٌ على الأزقة المهشمة ..
وكل
العيون
على
دياربكر ..
***

كضحك الكلام
وأنشودة تصفع مغازلة الرّايات
أداولُ الشغب
مراضاةً لعيني فاطمة
وكونياك فاطمة
والجميلة تَحْبِكُ

حنكة رسلها الموقوفين في مفرزة
لا تخلو من الضالّين، مثلي
كشاردٍ أُراقص حيرة الصاخبين
لأستدرج خطوات آنسة مرت
قبل ثوان
أتابع تفاصيل تحركات النسوة
وعيناي، لم يأكلهما المارة بعد
أنا
هاجس شغف ..
***

وأظلُّ هاجساً متورطاً
يسبقني الرصيف إلى الرصيف
تهريجاً، من المقبرةِ
بولي ماضٍ نحو الانسحاب
مثل
شيءٍ
يسمّ الكرنفال
حيث، نساء الأرصفة
يزيّنّ جسدي لوحةً لوحة
في
محراب
صلواتِ
العفيفات .

كالمساء
كالصباح، كالوداع

وأكلل مساءك بأغنية مريم خان

لتبدين

حلوةً

كوطن يشتاق لزقاقه رجالُ دراويش

كشهيدٍ يلهو فيه

أصدقاء يكتبون ما يحلو لهم

ليلاً

نهاراً

في المقاهي والحانات

لتبدين

كداليةٍ

كعيشيشان ..

وأمكث هنا، لأخبرك بحضورك لا بغيابك، أني دخان هذا الزمن المفصح عن ملكوته، وأنت غَبَشُ الليل، حيث تمضين وتمتطين آخرك، لتؤكدي – ربما الآن – ليّ لأتوقك إلى ما تُزَفين إليه وداعاً فوداعاً

كالصباح .

وأنا في مجدي الأوحد، موصدٌ بالحرائق
حيث أبدية وحشتي ..
ألمح ما يشبه تفاصيل وجه صديقة أحنّ إليها
في أماسيّ القاتلة والصاخبة بلا قتلى
وأنا أرتشف
فنجان قهوتي في حضرة أطواق هدوءٍ
مرمي على أوجه الصباح
كظلٍ
يتاخم
راحةَ ظله

أصحوا على قبلات نسوةٍ
يسدلنني قرباناً
لأماسيهن المودعة نفسها
عندما أتيتُ في منتصف الليل، بعد وجبات تعب ٍ، ما تيقنت أن الأصدقاء سيتأخرون تباعاً،
وإنني سأحتضن أربع نسوةٍ حضنة واحدة بلا تروٍ وكلام .. أصدقاءٌ
يأتون بعجلة مفرطة ويغادرون

وداعتي المستاءة متروكة لهواكِ الضاج مني،
وأنا مدفون في صغرى الخطايا
يأكلني الصدأ كما يأكل باباً من هواءٍ
تتغامزني أعين من لا أعرفهن
ويتهربن من مشاكساتي مَنْ كُنّ أمساً، يدللن همساتي

في الحديقة
وفي الشارع
وفي الغرفة المطلة على الشارع والحديقة
تشوش الخسارة خسارتي
تشوش خسارتي الخسارة
موحشٌ هذا المساء
موحشٌ هذا الصباح
جدران العالم
مسكونة بنفثات جنيات عابثات بوحدتي
ترفسني
وتراقصني

والمدينة الملونة بأطيافها، على هدوئِها تفاصل
وحشة هذه الوحدة
ووحشة هذه الثرثرة .

قدر الشّاعر

سأعود ومعي آلاف الحكايات
وقصص عن غرباء
آلفتهم أزماناً
مؤلم قدري
مؤلمة وحدتي
تفضي بي الوحشة إلى السراب

وأقضي أوقاتي
وأيامي
وعمري المهزوم
بين الليل والليل
والنهار
كمين منصوب ليس لي
ها أنذا
أقود قدري وأمضي إلى أي ركنٍ تمتطيني
إليه خطواتي .

وأعود وحيداً، ليلاً،
تتغامزني النجوم والعتمة
وصلوات المتدينين فجراً
تتملكني المقاهي والحانات والنوادي الليلية
وأشهد على سذاجة زماني الرديء
ببذخٍ
أحتضن يومي صاخباً
أو ضاجاً
أو وحيداً
أعيش بلا مؤنس كما يعيش ملك صاحب ملك وحيد ..

وببخل مرتجف
أرتشف قهوتي المسائية والصباحية
متأملاً المارين والمارقين على الأرصفة
ووسط الساحات بإبتسامة ساخرة

خذلني الأثاث
والمنازل هددتني بهجرانها لمشيئتي
والفتاة خذلتني
قدري هو قدر أيّ ملاك قلق
أتأمل لوحات ملونة، معلقة على جدران غرفتي
كما أتأمل أحلام المبعثرين
في ديار الله
ولا أمتحن
الصلاة بعفةٍ
ولا أتلي سلام الميتين ..

لأصبح
بعد وجبات غبارٍ مهشّماً
ككأساتي التي غادرتها قبل ثوان
في الحانة المجاورة
لثمالتي
قدري أن أنتظر الشرّيبين تباعاً
أو أغادر وحيداً، ضارباً في دروب الخيبة، مدخناً
النسوة الجميلات ..
لأنتفض على تكاسلي
أو أموت وحيداً
كما عشت صاخباً

الليلة المتورطة مع سهري
توقظني على أشياء ما فقهتها
أنا الذي ودع نفسه الآن أمام باب المقهى
والتقى بنفسه، أمام باب البار ..

في
زحمة
الناسِ
قدري
أن لا يشاطرني الشارع بكائي
وقهقهتي
وأن يسعفني
دخاني وشرابي

ونسائي
وتشردي
والجريدة التي أحملها في يدي
وأن آخذ إبرتي اليومية في أي مشفى قريب

كما آخذ علبة سجائري
من أيّ حانوتٍ
يُ
ص
ا
د
فُ
ن
ي.

السّارحُ حزناً

الظُفار
يعدون المائدة، قبل الطهاة
كأنهم يعدون ولائم الخيّرين للاخيرين ..

وأنتِ، كأنكِ لم تكوني يوماً، من الزائرات
تأتين
إلى مملكتي الصغيرة
لتعبثي بما رتبته لك وحدكِ
تتشاغبين كالأرامل
كي تمكثين كثيراً
في أروقة مداعباتي المعدّة للثناء

أنا
الضّاجُّ
هنا
السارح حزناً
وأنت في عطلتك الأسبوعية
تنفضين ما لملمتهِ، هناك، من غبار ودراسة
وأحرف تشبه يقظة الموتى
كأنك ظلام النهار وضوء الليل،

وشغف الغائبين
وأنا ممّا تبقى، تيهاً
من هذا الصباح
أظفر لمَاقيّ بحفرٍ تقيني شرّ العراء
أنظر ملياً إلى ما ينتابني من رجفات حنين .. ..

وأمضي
إلى
هلاكي
كأني لم أكن يوماً من سكان الخراب
في الشارع ليّ قَدَمُ
في البهو لي أقدام
أُنعي بأغاني الأصدقاء
الأصدقاء

وعلى الطاولة أسرح سائلاً
من سيقودني إلى الريح سوى الريح؟
أنا الداخل
أنا الخارج
أنا المسكون برهبة وهجران المكان
وأقفاص المكان ..
بحب الغبار المتاخم لتفاصيل وحشتي
بعد الغياب

مَنْ سيقودني إلى غرفتي في
آخر المدينة
بعد هذا التعب :
حزنٌ
وصخبٌ
وكلامٌ
وضحكٌ
ولا شيء آخر سوى الجراح..!!

بهدوء مفجوع وتحت مسميات مختلفة وأسماء ملتبسة، تأتي الجنّية،
لتقلب صفحات قدري المنجز، عابثة بأشيائي الجميلة
المبعثرة هَهُنا وهنا
تعبث بهلاكي
كأنني لن أقرأ بعد اللحظة
ما كتبتهُ طيشاً
على جدران الدوائر ولوح الشعبة المدرسية
وطاولة الكلية
وعلى مدخل الجامعة الأمامي
وعلى كرسي المقهى
وفتحات الحديقة
كأنني
لن أقرأ اسمي بين الناجين من الموت ... ...

حباً، أخفيكِ
كورقةٍ مدللة بين أوراقي السائبات
لأقبّل حزنكِ
متى ما شئتُ
كما أقبّل صور المودعات
خذلني العمر والأرواح المسكونة بالوجل
لم تنادمني الأفراح والأتراح
والمراحل
أنا الميت الآن ..

أنا
الذي
مات
بالأمس
وصورتي المؤطرة بالسواد
تمد لسانها
للإله
والعابرين

وأستعير أياماً
من التائبين
لأحبكِ ..

وأنتِ تعرفين بأني شيطانٌ في تقمص غمزات عينيكِ
وأنني ولدٌ مضروب على عقله وقلبه
يسخر من السقوط والصعود
يسخر من الموتى والأحياء
ولا يبكي على ما فات...

كلام فارغ

وجوهٌ، تشبه تفاصيل وجوه مَنْ أقرفهم، ولا أعرفهم
تدخلُ
أقبية مزينة بمحارم رقيقة وبالونات ملونة
ونحن
كما لم نكُ نحن
ندخّنُ في الكفن ..

والآخرون، يصفقون بملء أرواحهم التافهة
وأكفهم الخشنة
للفتيات العوانس، واللا جميلات يصفقن ملء أعمارهن الصغيرة
كما يزعمن للمهرج، حيث نحن، نرى سنين أعمارهن تفوق عدد المتصافقين بسنوات
كانوا،
أو كنّا،
أكثر من ستمائة متأمل، محشوون في تابوت صغير
يدعى الوطن ..

أنا

وحدي

مجرّدٌ من الأئمةِ

والسيارات ..

والنجومُ

تقسّمُ بأحاديثي

الممنوعة .. ..

العمرُ

لايمضِ

والحياة تائهة في بلاهتها

أُحبك أيتها اللا جميلة

المصفقة لمتاهتي

كما لم يحب أحدٌ

مذ تاه أول عاشقٍ في فنجان قهوته

على

مرمى

الصباح

والعمرُ سهرٌ

مشمئزٌّ من صخبه ..

تأتين
دائماً
وتجديننني سهراناً،
أفصح لله عن أحزاني المباركة
تلجين إلى غرفتي بلا مواقيت وهذيان
ثم تشمئزي من تصرفاتي الصبيانية..
أمامكِ
وفي منزل الجارة الجميلة
وعلى سرير الصديقة القريبة
وعلى
أرخوانِ
الزميلة
الغريبة .. .. ..

الذي أفكر فيه لساعات
هو جسدكِ

الذي أدعه مهملاً لساعات
هو جسدكِ .. ..
في البلاد الصاخبة
هنالك
مدنٌ
تعلو وتسقط
وتتكسر

كما تسقط الريحُ
صديقاً عاش في حلاوةِ دخانه
مستقبلاً ومودعاً
مئات الأصدقاء "اليتامى" في فارهات الشقق
بلا ندم

هناك، تستقبل مقبرة كبيرة
جثة جديدة
أتت من العدم ..

أجمل مشهد لباحث عن دخانه، مثلي
أن تخلع له
المرأة البيضاء
ثيابها البيضاء
بلا تحفظٍ ..
فالوطن المهجور
الذي لا تملك فيه ثمن دخانكَ
اصفعه بحذائكَ
وغادره حافياً

لئلا تتأخر عن مثوى كلامك
هناك .. ..
هناكَ :
كان مطاب هذرنا المطل بظلاله على الشموع الصغيرة، كي يعيدها إلى بدائعها المنهوبة، لأتلو – أنا – مضامين النهاية الأكيدة ..
على مرأى من نوم الضاجين
مذ قُدتُ قوافل زغردت لإنعدامي المتآكل أمام شرطة المخافر ومخابرات الحدود، حين لم تكُ الأبواب ترحب بزائري الخيبة
ورواد المقاهي ..

وسكون هذا العالم
يؤلمني
كما لو أنّي أبكي على تيهي
وأنا أرسم ابتسامة الدخان
بالحبر
والمطر
وحرمل الغياب ..

كطريد
يناهض
مقصلة
قارته
أتأمل لهوي، بشرود فارغ
أتأمل بطء مشية الأصدقاء اللهاة
في الملاهي اللهاة

هم أصحابي الذين لم أودعهم بَعدُ
والأمكنة
تسهر
– عبثاً –
مع مشاطريها لذة خلوتها الجميلة ..

وأتلمسُ وجوه الأحبة، البعيدين
بدون حرارةٍ
تحت زجاجٍ مغبرٍ
في كتالوجات
لا تضحك، ولا تبكي
إلاّ باسترجاع الأوجاع
هكذا،
أدغدغ طاولتي الهاربة، أبداً،
من ضآلتي ..

وأبتسم لها – المستلقية في ألقها –
لضحكتها ..
لتوعّدها، بلقائي
باحتضانها شفتايّ، في غياهب الدهر
أيها الضحك الجميل
لأعيد لغبار المكان، ألقه
المنصرف
من أوان تسريحه

كأنني الموارب عن شغف الفتاة الفاتنة
التي فاتت
الآن في عبثي
وهي تحصد
سنين طويلة من عمري التالف آماداً .. أيها .. الفراغ ..
وأمكث هنا ..
أجلس هنا ..
كسلاً، أتتبع بنظراتي، خطوات التي مرّت ..

أتشفّعُ لخطاي وخطاياي
وأضحك على المسكينات اللاتي يمرغن بطونهن وظهورهن في التراب
المبتسم تحت قدميّ، لكي أُقبّلَ ابتساماتهن، ولكنني أظل
في الشارع
وفي الحارة
وفي الحانة
وفي الوطن منازعاً بلا خطايا

بعد أن
عبثتُ بسنواتي المسروقة من الريح
وعبثتُ بأيامي المكدسة بالطين وراء الريح
وعبثتُ بآثامي الملونة بالمستأجرات قبل الريح
لأسرّح
بجرحي .. أيتها المتأرجحة بمرح الكلمات
و
اللمسات ..

للأوراق، قبائح الكلمات

للدخان، جمائل الكلمات

وها أنذا، لم ألحظ مجاملة الطالبة التي مرّت ضحكتها الآن،

كمشاغب،

أتلظى برتابة النجاة

من الباحثة عن ولعي بالوضوح، كيما تضيع هي، كيما تنام بلاي في رُكن الباحة المتاخمة لدار ألقها ..

أتوق

لحرارة

جسدها النديّ ..

كأنني آتٍ من بلادٍ لا تطلّ عليها إلاّ الثلوج

وسقم الثلوج

وربّ الثلوج

أيتها المنتظرة لا مبالاتي، وسط أغاني وتصفيق العالمين،

المنتظرين

أتاوة

السماء ..

سماءٌ لخطوةٍ ترافق ظلّ الخديعة
سماءٌ لإبتسامة وصيفة، تتوج من أجلي
سماءٌ لرب يملك هذه السماء
وسماءٌ
للشامتين
بالحياة
مثل التي شمتت بنفسها، مليكةً .
وكلّ
السماوات
لكِ
وحدكِ
وأنتِ لسماءٍ خاشعة
تحت نظراتي
وضحكاتي المتقطعة ..

أنا آخر الفاجعين
بعد ترتيب الخراب
أنا آخر المتأملين
بعد ترتيب ما فات
خرابه
أنا أول الصاخبين
في إحياء ما مات..

أبواب

لمن كل هذه الألوان
المفصّلة كشكل الموت ؟ ..
الذي يختارنا
كما يختار الجسد إحتراقه
على أبواب المستحيل !! ..
وهذا اليوم يبيح لي
الكلام
وأنا
أنحت في الفرا غ ..
ليُزَفَّ السراب من جديد..

عمتِ مساءً أيتها الغافلة عن جسدها
أنا مشتاقٌ إلى قبور الأولياء
فخُذي
ضحكتي
واخلعي عنواني
من على بابك المترقب
غنائي ..

عيناي على الغارقين
في النظر إلى رونق الصباح، فيكِ
وعيناك علي
كأننا نمارس الحب
في الزُحام ..
وسطَ أُلفة المصفقين ..

أنتم ذا، تبقون
لتؤازروا، ما أتلفته وخيّبته أنا،
هناكَ
أنتم تعتذرون بدلاً عني ..
لتُبقوا على صداقات جديدة
ما آلفتموها
لولاي
أيها المساكين ..

كلكم تلهون بما عبثت به منذ سنين خلت، وأنتم تسرحون في فضاءاتٍ
ليست لكم، إذ المكان يشاطره خلوه من مشاغبات لم تعد تود اللهو، بعد
الأعوام التي ولّت دونما إيذان،
وما زلتم تقاسمون صخبي الذي تركته، طواعيةً لصبركم ..
ها أنذا
وبهدوء فظيع
أستدرج
خطواتي
من أماكن عباداتكم وبكائكم
باحثاً
عن
كسلي ..

من عينيها
يبزغ سحر الله
لتصبح بجسدها الملون
لوحةً معلقة في السماء
يحيّها المارة ..في الأرض
ولوحة مفروشة على الأرض
يطأ رأسه لها
كل منْ يود الإمعان فيها ..

ومن عينيها
يبزغ سحر الخجل ..
ويتهاوى جنون
الألوان .
المتأخرة
عن
حفل
ميلاد
صديقها
تترك الهواء يسرح بالعابثين
وتعود
تاركةً وراءَها صخب الثملين ..

كأنها نسيت باقة الورد
على عتبة حزنها ..
قبل
المنعطف الثاني ..

وأصلب
الرتابة
قهوة إثر قهوة ..

يالمواعيدي المؤجلة
كموت مدينة ..
أعدُ ولا أفي بشيء ..
يموت، ضاحكاً
هذا الذي غنى لنفسه أغاني العالقين في الحياة
وهو الذي مات قبل أكثر من ستين ركلة
حالماً
بسيقان كليوباترا وكيلوتها ..

براري موحشة

ألملم دموعي
وجعاً
كالمسيح

وأتشبّث
بثوبِ
إشتار
تقاسمني الصخب والضجر
وأنا أنشد للطوفان ..
على أسوار
إمرأة
من
بياض ..

ننسى الشوارع التي نمر بها
ولا نألف الوجوه التي نصادفها
رغم أنها تحيينا
بحرارةٍ
ونرد – نحن – ببرودٍ .. ونمضي
لا نلتفت لأحد
وبلا تفكير
نرمي سجائرنا أمام عتبة تكية الشيخ
ونجلس في صمت جليل ..

نتنحّى
بكل كبرياء
عن العراك
ونجرجر خلفنا أساورنا
التي جلبناها هديةً
لبنت الإمبراطور ..

ثم نمضي إلى المقاهي
ونشرب فنجان قهوتنا بسلام
ساخرين
من المارّة
وإشارات المرور
ونظرات الشاردين في الساحات .. الذين يحنون إلى براريهم
الموحشة
يصفقون
لحكومتهم
في الشوارع
وينتقدونها
في السرافيس، بلا ترددٍ
بين وقفة وأخرى ..

وكالعصافير
يتشبثون بالخيبة
كأنهم يصافحون النجاة ..

كمساء
مطعون في الحزن
أبعثر ظلالي السوداء على قوانين الله
في
البراري
الموحشة
تستوحشني ذاتي
وأحفر لها
كما حفرت لمراحل شغبي
سنوات من العتمة
وأعياداً من رائحة السماء ..
لأراهن
على
أبديتي ..

ورودٌ لكاهنٍ غير وحيد

ورودٌ له بعد أن خانته التلال ..

ضريحه يسألني عن فتاته الكردية التي نهرت مع النهر، بعدما أمطرت على وجهه قبلةً برائحة الوداع، والحياة نائمة في سباتها ..

ضريحه يقول

لِتَنَمْ الحقول بناسها المنهكين على دفتي راحتي، فأنا ما كرهت دماً،

ولكن طبول الزمن القارعة أمام أغنياتي – وأنا أنشد للحب – ما أحبت دمي الذي لا يشبه الدماء ...

أي أرض تضم دموعي المرتبكة، التي تنظف أوجه الحياة المغبرّة،

بدفءٍ قاتلٍ

قاتلٍ .....

طاولات فارغة لا يجالسها أحدٌ

تناجي دمي الغارب عن هذيانه

والنهر

الجارِ

هادئاً على صمت الحصى

يواسيني

في فقدي لصديقي الذي كان كاهناً هنا
يحرس الريح
والغبار وصخور الظلام
صديقي
يشهد له الرصاص،
والرمل الذي نفى جسده إلى بلاد منتهية،
لينثر الصدى، ريشه الحالم، بضحك الغائبين
على إرثٍ لم يتبقى منه شيئاً سوى الهواء..

هذه التلال تتذكره
تتذكر قهقهته على فوضى الكون
وعلى تعب العراء
وطمبوره خيمة لعزاء المسافرين
سأُسمه ماءاً منثوراً على مفترق الطرق المؤدية إلى السراب، ليجلس
بغيابه أمام فناجين المنفى، ليحكي لي عن الذين أحبونا ولم ننتبه
لدموعهم، وليحمل رايةً، سقطت – يوماً – من يده، وهو يعبر رائحة
التبغ إلى بيته القديم ..
كان كاهناً، هنا
يتكئ على أجراس الجبال
ويلاعب الموت كما يلاعب طفلاً مولوداً من الضحك
وقساوة الشقاء .

ما يُشبه الكراهية

في شؤون الوحشة
والترقب
أو ما يشبه أوجه الحب
والبعثرة :

لا أحد يتذكر مني شيئاً سوى أنني عاطل عن العمل ..

وأترقب، بشغفٍ مستميتٍ، حرارة جسد الفتاة التي كانت هنا قبل دقائق، كما لو أنني أتفحص بعثرتها بين تفصيلٍ وتفصيل، ها هي الأرصفة تخونني، كما تخونني فتاة من جليد ونار، حيث لا إمرأة تلف بكائي الطويل لتمسح – ذات ابتسامة – دمعتي التي تنظف الرصيف الرصاصي، كما أستلقي بتعبٍ مفرط مع أوصال وأوهام النهار على مهبئذ، وأنام ملء تشردي، فلا موت جميل يسعفني للتخلص من هذه الحياة ولا تدوينٌ لأُشخبط، على الزمن السخيف، شقائي الهارب، من مغبة طيشٍ بليدٍ ..

من ستداري حزني ؟

حملت سنين عمري تحت إبطي، وجربت قساوة الوقت

سجنت

وصرخت

ولم أبال بمعرفة اسم اليوم الذي أعيش فيه

قادني هدوئي،

كما هدوء الملائكة

وغفران المحبين لي

وأنذا أقود الموت إلى ذاتي لأحلم بالغبار الذي نبذته ذات هلاكٍ، وذات ثمالة

وأحلم بفتاةٍ لينةٍ، لتضم هذا الجفاء مني عليّ، أنا الهارب من رساتيق الشوارع التي تعد خطواتي الغافلة عن مراقبيها،

آه، أيتها النعمة ..

آه، أيتها الكراهية ..

آه، أيها الحب الرجيم ..

صديقتي

طريدة

أمها

ورحمة، أباها المختفي ..

يقولون لي
مُتْ مازال الموت رخيصاً
مُتْ
أنت
الأولى
بالموت
يا محب السائرين نحو أوجه البعثرة
تتمتم أمي لنفسها :
أصدقاؤه الذين سكنوا معه ..

أحدهم صار حقوقياً، والثاني محامياً، والثالث مهندساً ميكانيكياً،
وفتحو نائم حتى أوج الظهيرة، ينام على راحة ويفيق على ألق راحة ..
وديونه
تهدّ
البيوت
وأتوارى
كالمساء
سائراً إلى حبي ..

وأموت
كالصباح
سائراً إلى حبي، أيضاً
لأحيا
كَ
وَ
جَ
عٍ
وأُدفن
ككفن

صوَر

إلى
ألند وشيرين وشاناي
المتعثرات بفناجين سهراتي
في الغرف الضيقّة
والشقق الفارهة .

هنا، حزينة
وهنا، مرحة
تُقَبّلين جدراناً خرساء
كما لو
أنك تسعفين روحي
الملأى
بالحزن
والدمع

والشغب ..

أنتِ تلاعبين قدري الأخرس
وتنامين على ساعديّ ..
كأنكِ
في
نومك
المبتدئ
باكراً
تستنطقين الحجر
والجسد
وسجائر الروح
كما بلاهة الصمت ..

والضجر ..
تنظرين إلى لا شيء
وتنتظرين لا شيئاً ..أيضاً
تتأملين قداسة الله
كما تناشدين
الحياة الحاملة حباً،
بناسها وحقولها
ورمالها وحصاها
وضحكاتنا المتتالية
وعويلنا الطويل،
ا
ل
ط
و
ي
ل
.. .. ..

عمرٌ أو عمران
سنختبئ – يا صديقاتي النازفات –
من أغاني الحمام
ومن رتابة المريدين
ودموع الشجن المزيفة
لنوزع – ذات نيروز –
ورودنا الطافحة بالانتشاء،

خلسةً، على احتفالات الدنيا واحتفاءات الأحياء
بالأحياء ..
التي
سايرناها
بطلوع
الروح .

فهرست

أُلفة الخديعة 5
الضالعون في الحب 21
صلواتي إلى روج 41
كالمساء كالصباح، كالوداع 49
قدر الشّاعر 57
السّارحُ حزناً 69
كلام فارغ 83
أبـواب 107
براري موحشة 119
ورودٌ لكاهنٍ غير وحيد 127
ما يُشبه الكراهية 133
صوَر 143